جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

الندوة العلمية:

طوفان الأقصى في الشعر الجزائري

عنوان المداخلة:

الشعر الشعبي الجزائري المقاوم وطوفان الأقصى

الاسم واللقب: فتيحة غزالي

الرتبة العلمية: أستاذة محاضرة أ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البريد الالكتروني: ghazalif@yahoo.com

ملخص

شكلت المقاومة الفلسطينية المسلحة لب حياة الفلسطينين والشعوب المقاومة التي طعمت الموت والهوان في سبيل حريتها والدفاع عن مقدساتها، والمقاومة هي ثمرة ضاربة في التاريخ وأعماق الأرض.

وإذا كان التاريخ يسجل بالدماء فإن الدماء ذاتها تتبع من إرادة التحرر ودحر الطغيان، والأوطان إنما تسقى بدماء أبطالها ليزهر الزيتون والليمون في وهادها وجبالها، ولا يؤتى أكلها من أدبر وتولى وخذل أهله وباع همته وضميره، والشاعر الشعبي الجزائري وطني بطبعه أصيل في وعده لفلسطين ظالمة أو مظلومة، وقد ورث هذه العبارة من أبائه وأجداده في نصرة فلسطين وأهلها.

وجاء طوفان الأقصى ليفجر هذه الكوامن النفسية والقرائح الشعرية الشعبية للتعبير عما جرى من جرائم يندى لها الجبين ألما، وخذلان عربي يعصر القلب دما، ويكشف الخيانة المدثرة أرضا وسما.

وقد جاء عنوان مداخلتنا موسوما بـ: الشعر الشعبي المقاوم وطوفان الأقصى (قراءة في نماذج مختارة) للإجابة على جملة من التساؤلات أهمها؛ كيف عبر الشعر الشعبي الجزائري عن انتفاضة طوفان الأقصى؟ وماهي أدواته في ذلك؟ وهل نجح في التعبير عن بشاعة الجرم الاستعماري الذي فاق التصور، وخيانة إخوة يوسف الخالدة؟

وللإجابة على هذه التساؤلات جاءت هندسة مداخلتنا مبنية على الناصر الآتية:

مقدمة

1/الشعر الشعبي المقاوم (المفهوم والفعالية)

2/هندسة العنونة واللحن الفلسطيني الخالد

3/التصوير الفني ورحلة المعنى المقاوم

وسنعتمد في معالجة هذه العناصر على المنهج السيميائي الذي يتقصى الدلالة وينفذ الى أعماقها، والتركيز على آليتي الوصف والتحليل الملائمة لقراءة مثل هذه النصوص الشعرية

الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي، المقاومة، طوفان، الأقصى.

Abstract

The Palestinian armed resistance has been at the heart of Palestinian and peoples' lives. It has fed death and humiliation for its freedom and for its sacred defence. The resistance is a speculative fruit in history and the depths of the land.

If history is recorded in blood, the blood itself stems from the will to liberate and defeat the tyranny. The homelands are watered in the blood

of their heroes to blossom olives and lemons in their face and mountains. They do not bear fruit from the masterminds and omissions of their people and their conscience.

Al-Aqsa's Strom came to blow up these psychological cummins and folk poetry to express the crimes of which the forehead deplores pain, fails the Arab blood of the heart, and reveals destructive betrayal and poison.

The title of our intervention was tagged: Popular poetry resistant and the Al-Aqsa deluge (read in selected models) to answer a number of questions, the most important of which; How did the Algerian people's poetry express the uprising of Taufan al-Aqsa? And what are his tools in that? Did he succeed in expressing the heinous and overly conceived colonial crime and in betraying Yusuf's immortal brothers?

To answer these questions, the structure of our intervention is based on the following:

Introduction

1/Popular hair resistant (concept and effectiveness)

2/Engineering Address and Melody Immortal Palestinian

3/Art Photography And Journey Meaning Resistant

In addressing these elements, we will rely on the semiotic approach that investigates the implication and implements its depth, focusing on appropriate description and analysis mechanisms for reading such poetic texts

Keywords: popular hair, resistance, deluge, maximum.

مقدمة

يعانق الشعر الشعبي المجتمع، ويساير حركة التاريخ في تغيراته، فهو لسانه الناطق بالحق، المعبر عن آماله وآلامه وخيباته وانتصاراته، "ولأن الشعر الشعبي هذا ديدنه من حيث الالتصاق الوثيق بحركة الواقع والمجتمع، فإن صوته لا يعلو إلا وفقا لحركة الظروف المحيطة به، وهذا لا يعني أن الشعر الشعبي انعكاس عقيم للواقع، ولكن لأن من مهامه مسايرة حركة المجتمع فإنه يمثل قائدها على الدوام ومحركها ومعلي شأنها من خلال مسايرة صوته لصوتها، خاصة إذا كانت تلك الحركة تتكفئ على مواقف وإحداثيات جذرية في الواقع"[1]

إن الشعر الشعبي المقاوم هو الوجه الثقافي للمقاومة السياسية ولا يمكن فصلهما؛ وإذا كانت المقاومة المسلحة قد قدمت أسماء لامعة لتحرير الأوطان، فإن الشعر الشعبي المقاوم هو الآخر قدم أقلام لامعة وأصواتا شعرية خالدة استطاعت بالكلمة النافذة اختراق الحدود وإسماع صدى صوت الحقيقة في مشارق الأرض ومغاربها، وها هو الشاعر الشعبي الجزائري يناصر إخوانه في فلسطين ويترجم آلامهم شعرا، ينقل التفاصيل الحزينة والخيبات العربية، والخذلان العالمي للإنسانية بعدما عرّتها أحداث طوفان الأقصى وكشفت سوءتها.

وتهدف هذه المداخلة موسوما بـ: الشعر الشعبي المقاوم وطوفان الأقصى (قراءة في نماذج مختارة) للإجابة على جملة من التساؤلات أهمها؛ كيف عبر الشعر الشعبي الجزائري عن انتفاضة طوفان الأقصى؟ وماهي أدواته في ذلك؟ وهل نجح في التعبير عن بشاعة الجرم الاستعماري الذي فاق التصور، وخيانة إخوة يوسف الخالدة؟

---

[1] فتيحة غزالي ودليلة مكسح: الذاكرة بين إيقاع الثورة وصوت الشعر الشعبي في منطقة جمورة، ملتقى القصيدة والمقاومة الشعبية، متحف المجاهد بسكرة، 2013 ص145

وسنعتمد في الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها على المنهج السيميائي الذي يتقصى الدلالة وينفذ الى أعماقها، والتركيز على آليتي الوصف والتحليل الملائمة لقراءة مثل هذه النصوص الشعرية.

1-الشعر الشعبي الجزائري المقاوم (المفهوم والفعالية)

تعرّف المقاومة بأنها "الدفاع عن النفس والأرض والوطن بكافة الوسائل المشروعة ماديا ومعنويا لمواجهة أعمال العنف والعدوان والسيطرة على الأرض والناس بغير وجه حق أو عدالة، من أجل تحقيق الحرية والخلاص"[1].

واستنادا إلى هذه المفاهيم تشكل أدب المقاومة للبحث عن كيفية الخلاص من العبودية بالكلمة والمعنى " فعلى مدى الأجيال كان الأدب أكثر الفنون التصاقا بالثورات، وأقواها جميعا في التعبير عنها، وما من ثورة عرفها التاريخ إلا كان الأدب هو الممهد لها بالخطبة والقصيدة، وبالمقال والقصة والرواية، وما إليها ثم كان بعد قيامها هو الداعي لها والناشر لمبادئها، والمدافع عنها ضد مناهضات الخصوم والاعداء، فإذا استقر أمرها كان الأدب هو الراصد لمسيرتها والمسجل لخطواتها، والمعبر باستمرار عن تأييد المجتمع لها أو سخطه عليها"[2] ، والشعر الشعبي أكثر تلك الفنون الأدبية تعبيرا عن الثورة والمقاومة وأعمق اتّصالا بها، لأنه نابع من الأوساط الشعبية البسيطة التي تتنفس البؤس والشقاء ،وتتمنطق الصبر والكفاح أملا في غد أفضل يمكّنها من البقاء ، فهو كلام خفيف الإيقاع عميق الأثر يعبر فيه الشاعر عن ذاته الواعية في علاقته بمجتمعه وأمته ،ويتوسع ليعبر عن الهوية وكل مقاوماتها وعناصرها والدفاع عنها وعن مقدسات أمته ودينه ووطنه.

إن علاقة الشعر الشعبي الجزائري بالمقاومة قديمة، تزامنت مع بدايات التكالب الاستعماري الحديث على الجزائر، واحتلال أراضيها، فقد سجّل الشاعر الشعبي هذه البدايات وأرّخ لها بحزن وأسف كبيرين، وتناقلت الرواية الشفاهية تلك القصائد بنهم كبير

---

[1] فرغلي هارون: لعبة خلط الأوراق، مقاومة الإرهاب أم إرهاب المقاومة؟ دار الوافي، 2008، ص5

[2] عبد الصبور مرزوق، أدب الثورة 1919، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة ،1970، ص1

يفضح السياسة الاستعمارية، وينشر قبيح دروبها ومسالكها، ويدعو الناس للخلاص من براثنها ، واستطاع الشاعر الشعبي حقيقة تحريك نفوس المستمعين وتفجير ثورات هامة؛ كثورة ابن زعمون سنة(1830)، وثورة مليانة سنة (1851)"[1] .

وتجدر الإشارة إلى أن المقاومة الشعرية امتدت اكثر من ذلك للحفاظ على العروبة والإسلام، عندما تمكن المستعمر من تشتيت عناصر النخبة (شيوخ القبائل، شيوخ الزوايا ،العلماء)من خلال استقطابهم وشراء ذممهم بالمناصب والسلطة أو تحييدهم ونفيهم وغلق المدارس والزوايا التي يديرونها، في هذه المرحلة الحساسة بالذات ،فكان الشعر الشعبي المقاوم يؤدي دور المسجد والزاوية والمدرسة في تعليم الناس أمور دينهم وتذكيرهم بقواعد الاسلام وتعاليمه ،وتزويد الناس ببعض أوليات المعرفة والتاريخ والثقافة"[2].

يقول التلي بن الشيخ: "يكشف الشعر الشعبي عن دور آخر لا يقلّ عن دوره في الجهاد والقتال، فقد استطاع الشاعر أن يحافظ على عروبة وأصالة الفكر الشعبي، وبالتالي حافظ على عروبة لسان الشعب الجزائري الذي تعرض إلى ثقافة غازية استهدفت لغته وثقافته بالدرجة الأولى، ومسخ شخصيته بأية وسيلة، وقد استطاعت مخططات الاحتلال أن تفصل اللغة العربية الرسمية وتعزلها عن واقع الشعب، ولكن الشاعر الشعبي بقي محافظا على اللغة العربية ولو في أشكال بسيطة ، وتعابير لا ترقى إلى الأسلوب المطلوب فكان الشعر الشعبي عربي اللّسان، مسلم العقيدة، وطني الشعور، فلم يفرق الاستعمار بين الاحتلال الاستيطاني ، والاحتلال الثقافي والعقائدي، بل إن العقيدة الإسلامية كانت المحور والمحرك لجهاد ونضال الشاعر من أجل البقاء والوجود"[3]

---

[1] مجلة آمال: عدد خاص بالشعر الملحون، وزارة الثقافة، الجزائر، عدد 04نوفمبر، 1969ديسمبر ص73

[2] أحمد قنشوبة: مكونات فعل المقاومة في الشعر الشعبي الجزائري، ملتقى القصيدة والمقاومة الشعبية ص131

[3] التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830. 1945) الجزائر، ص-ص244-24

ومن أهم أدوار الشعر الشعبي المقاوم دور الإعلام والتبليغ، "فكان يسجل أخبار الثورة، وانتصاراتها واخفاقاتها، همومها وأفراحها، داعيا للجهاد، مسجلا للأمجاد والبطولات"[1]

ولأن الّشعر الشعبي الجزائري المقاوم هذا مجاله، فقد باتت البطولة والتضحية مداد كلماته التي لا تنفذ، وسرت في شرايينه محبة فلسطين وأهلها الغر الميامين، المجاهدين، المرابطين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم فرحين بما آتاهم الله من فضله ،فقد جعل الشاعر الشعبي الجزائري قضية أحداث طوفان الأقصى قضيته ،وانبرى يصف أحداثها ومواجعها وانتصاراتها وكأنه يعيش ثورته الخالدة مرة ثانية ،وسنحاول قراءة نماذج من تلك القصائد الشعبية الخالدة التي أرّخت للأحداث والبطولة والمأساة والوقوف على إيقاع صوتها ولحن معناها.

2-هندسة العنونة واللحن الفلسطيني الخالد:

يولد النص الشعري وقد كابد مخاضا عسيرا لينعم بالوجود والكينونة التي أريدت له، ويستمر وجوده ويتعالى صوته بلقاء القارئ الذي يتلقفه بشوق، معربا عن تشاكل المعنى أو تباينه، وككل مولود لا بد له من اسم يعرف به، يبادر المبدع بتقديم اسم له معلنا عن هويته وانتمائه، وبه يسجل ويصنف في المكتبات، فاستراتيجية التسمية لها دور مهم في تداولية العنوان والنص الذي يحمله"[2].

لا تخرج عناوين القصائد المختارة في هذا البحث عن موضوع الراهن؛ طوفان الأقصى، وقد تداعى له الشعراء الجزائريون بالقراءة والإبداع من كل حدب وصوب، وكل له عّدته وعتاده، ومن بين تلك القصائد الشعبية الجزائرية الكثيرة التي واكبت الحدث واستثمرت وقائعه وفصوله وقع اختيارنا على أربعة نماذج رأيناها الأنسب

---

[1] المرجع السابق، ص246

[2] عبد الحق بلعابد: فتوحات روائية (قراءة جديدة لمنجز روائي عربي متجدد)، دار الروافد الثقافية، ط1 ،2015، ص54

والأجدر مبنى ومعنى، وهي قصيدة طوفان الأقصى للشاعر جمال جلّالي من الأغواط، وقصيدة الأقصى وخيانة العرب لأحمد مدّاح من ولاية الشلف، وقصيدة **"فجر قريب يا غزة"** للشاعر رشيد بومعزة ،وقصيدة **"انزفي يا غزة"** للشاعر عبد الرزاق سعدون، وقصيدة **"جراح غزة"** للشاعر الطيب حاكمي من ولاية البيض.

3-طوفان الأقصى والتقارؤ النصي:

اختار الشاعر جمال جلّالي[1] عنوان قصيدته **"طوفان الأقصى"** ليعبر بالحدث وفعله دون اللجوء إلى المشاكسة أو المراوغة، فالعنوان يحيلنا مباشرة إلى أحداث 7أكتوبر 2023، وهي واحدة من أكبر المواجهات العسكرية بين الفصائل الفلسطينية بقيادة حركة حماس وجيش الاحتلال الاسرائيلي، وهي الحقيقة التي حطمت أسطورة إسرائيل التي لا تقهر؛ وبهجوم بري وبحري وجوي تمكنت عناصر المقاومة من التغلغل في قلب إسرائيل، وتنفيذ هجمات خاطفة وعمليات عسكرية دقيقة وحيازة وثائق سرّية كشفت تورط قيادات عربية وعالمية في مساندة الكيان الصهيوني في انتهاك حقوق الإنسان في أرض فلسطين وتجريد إخوانهم العزل من أرضهم وأمنهم، وعبر من جهة أخرى عن قوة الحركات الفلسطينية وسرعة تنفيذها للهجومات المباغتة واختراقها القبة الحديدية وجميع الأجهزة الاستخباراتية الإسرائيلية التي تعد الأقوى عالميا، ودلالة لفظة الطوفان تتعالق نصيا مع نص سابق وهو النص القرآني الذي عرض قصة الطوفان مع نبي الله نوح عليه السلام مع الحفاظ على خصوصية كل نص، ويمكن تجاوز مصطلح التعالق النصي لمصطلح آخر مشتق من فعل القراءة وممارستها وهو ما يطلق عليه بالتقارئ النصي الذي يحتكم لفعلي التعالق والتفاعل والحوارية"[2]

يقول عبد الحق بلعابد: "فالتقارؤ النصي إذا ما نظرنا إليه من داخل نظرية النص الأدبي فسنجده مرتبة من مراتب التعالق الادبي، أو من مراتب التناص، أما إذا

---

[1] جمال جلالي شاعر شعبي من مدينة آفلو ولاية الأغواط.

[2] عبد الحق بلعابد: فتوحات روائية، المرجع نفسه، ص 279.

نظرنا إليه من داخل نظرية القراءة والتلقي، فسيحتاج لجهاز مصطلحي ومفاهيمي خاص به"[1].

يتعالق نص طوفان الأقصى ويتفاعل مع النص القرآني على مستوى الفكرة والأحداث البارزة في كليهما، ويستثمر نص الطوفان المعنى القريب والبعيد في النص القرآني ليقدم تأويلات لمفاهيم وقيم مستترة يحاول أن يكشفها ويبرهن على وجودها، ونقرأ في قصة نبي الله نوح عليه السلام قوله تعالى:﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلمو إنهم مغرقون ﴾[2]

فالتعالق أو التقارؤ في نص طوفان الأقصى يتسع ليشمل المكان والزمن والفكرة؛ فأرض فلسطين هي أرض الأنبياء والرسل ومنها أسري بالنبي محمد وعرّج، هي الأرض المقدسة التي تجتمع فيها الديانات، وفيها تلتقي الخصوم وتقتتل وينتصر الإسلام في آخر زمانه، ويهزم الدجال وتخمد الفتن، اذن ففكرة الصراع الديني هي لب التعالق بين النصين، ففي حين يعصي الله قوم نوح ويصّرون على كفرهم واتباع الفتن والشهوات، ويرفضون دعوة نبي الله لهم ما يقارب أ لف سنة من الدعوة إلا خمسين، يوحي الله عز وجل إلى نبيّه ببناء السفينة ونقل المؤمنين منهم وترك مادونهم، ومن كل خلق الله زوجين لقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أمر ربنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾[3]

لقد صبر أهل فلسطين مئة سنة ونيف من احتلال أرضهم على جبروت اليهود المحتلين، كما صبر نوح على كفر قومه قرنا من الزمن إلا قليلا، وما نصر قضيتهم غير نفر من بني جلدتهم من العرب وغيرهم، مثلما تولى أهل نوح عليه وأدبرو اغير قليل منهم، وأوحى الله لنوح بصنع الفلك المشحون لإنقاذ المؤمنين وإهلاك الكافرين،

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[2] سورة المؤمنون الآية 27.

[3] سورة هود الآية 40

وكذلك جاء طوفان الأقصى ليختبر المؤمن من الكافر، ويعيد حسابات علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وقد عمت أحداث طوفان الأقصى العالم بأسره كما عم الطوفان الأرض في زمن نوح عليه السلام، وتأثرت الشعوب والأمم به، وكشفت معادنهم من خلال مساندة الفلسطينين والدعوة إلى رفع الغبن عنهم من عدمها ،ولا شك أن هندسة وبناء طوفان الأقصى لم تكن صدفة بين عشية وضحاها، وإنما هي ثمرة سنوات من البناء والإعداد، وهذا ما كشفت عنه، فصائل المقاومة، من طريقة بناء الأنفاق وتصنيع الأسلحة، وإمكانية تجاوز الجهار المخابراتي والقبة الحديدية .

إن هذا التقارؤ والحوارية ما بين النصين ربما لم يقصد الشاعر إليه، إنما هو وليد اللحظة الإبداعية التي استعارت نصها الموازي من الاسم الذي أطلقته حركة حماس على ثورة السابع من شهر أكتوبر الماضي، وما كان منها من تعالقات جاء بسبب تسارع الأحداث ودهشتها، والدليل على ذلك تركيز الشاعر في متن نصه الشعري على مآسي الشعب الأعزل وخذلان إخوانهم من المشرق حتى المغرب، وهي الفكرة ذاتها التي ركز عنها الشاعر أحمد مداح في قصيدة عنونها الأقصى وخيانة العرب.

4-الأقصى وخيانة العرب[1]

وفي قصيدة **أحمد مداح** تبوح القصيدة والعنوان في أول لقاء بصري لنا به بفكرة الخيانة، ويربطها بلفظة الأقصى ضمن ثنائية (المقدس والمدنس)، فالمسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثاني الحرمين، وبالنسبة للمسلمين هو الهوية والانتماء، فلا يكون الإيمان تام والأقصى مستباح، وأبوابه مغلّقة في وجه أهله، وأصحاب الأرض المقدسة من زمن صلاح الدين الأيوبي، مبعدون عنه بغير وجه حق، فالعنوان هو مفتاح النص الشعري وبابه الواسع الذي يطل القارئ من خلاله إلى عوالم النص ويشّيد معانيه، وهو الذي يحدد هوية النص"[2].

---

[1] احمد مداح، الكريمية ولاية الشلف

[2] محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1987، ص72

وبالنظر إلى التشكيلات البنائية التي شيدت معمار العنوان نحويا نقرأ هوية المعني المختزل، وقد جاء العنوان جملة اسمية مركبة من جملتين معطوفتين، المركب الأول فيها مكون من مسند إليه (الأقصى)ومسند محذوف تقديره: مغتصب، والمركب الثاني مكون من مسند إليه (خيانة العرب) المعرف بالإضافة، ومسند محذوف وتقدير الكلام فيه (قاتلة، قاهرة، صادمة)، فالانهزامية العربية مسيطرة على العنوان تركيبا ودلالة، والشاعر من خلال تقديمه للعنوان يفضح سر ضياع فلسطين، فيشير للجزء(الأقصى) وهو يريد الكل(فلسطين).

إن ضياع فلسطين والقدس، وتدنيس مسرى رسول الله بحسب ما يحيل إليه عنوان هذه القصيدة الشعبية إنما هو بسبب من خيانة زعماء الدول العربية الذين ألبسوا شعوبهم الخزي والهوان، وأثبتوا للقريب والبعيد أنهم أشد عداء على إخوانهم من اليهود أنفسهم، وكشفت الحقائق أنهم وراء هزائم الأمة وخذلانها وانتكاساتها على مر التاريخ الحديث والمعاصر، وإن كانوا اقبلا يمارسون طقوس الخيانة سرا وبمقابل مادي وإغراءات لا حصر لها من السلطة والنفوذ واستمرار حكمهم ،فهم اليوم يعلنون العداء لأنفسهم ونصرة العدو بما ملكت أيديهم ، وبما أعدو من قوة ومن رباط أموالهم التي استثمروها كيما استثمار لإبادة أهل فلسطين والمرابطين بها .

5-التصوير الفني ورحلة المعنى المقاوم:

يقول الدكتور إحسان عباس: "من مرحلة المعنى يتكون علم المعاني، ومن مرحلة معنى المعنى يجيء علم البيان"[1].

أما التصوير الفني فهو الأكثر تأثيرا في المخيلة الحسية للمتلقي، "حين يلتقط الصور الحسية ويحتفظ بها في الخيال، ليعيد استرجاعها مرة أخرى فيي غياب الصور الحسية ذاتها"[2]، "إن الصورة الفنية معادل فني جمالي يوحي بالواقع ويومئ إليه بأشباهه

---

[1] إحسان عباس: تاريخ النقد الادبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان ط3، 1983، ص429

[2] مصعب حمود: سأحمل روحي على راحتي (قراءة فنية في اللحن الفلسطيني الخالد) سلسلة إصدارات أدب العودة، ط1، ،2018، ص42

من الرسوم واللوحات عن طريق الحشد الإيقاعي وسائر ضروب الإيحاء البلاغي والبديعي والصياغات التشكيلية والتقنيات الأسلوبية واللغوية المختلفة "

وقد استثمر الشعراء الشعبيين الجزائريين التصوير الفني كيما استثمار لنقل مآسي إخوانهم الفلسطينين وما تكالب عليهم من عدوان في حرب خلاصهم التي فجرتها أحداث طوفان الأقصى، ونقلوا بالكلمة الشعبية البسيطة ما عجزت عته كثير من المنظمات الإنسانية ووسائل الاعلام الدولية، وها هو الشاعر جمال جلالي في قصيدة **"طوفان الأقصى"** يرسم أجمل اللوحات فرحا بأبطال المقاومة الأشاوس الذين أوقفوا الزمن وأبهروا العالم باختراقهم أقوى جهاز أمني في العالم بمعدات بسيطة، فكانت المعجزة الربانية التي تشبه الحلم، يقول الشاعر:

ها غزة طوفان رجّع لمنايا*** فرحتنا بنهار كنا نسناك

طير أبابيل نزلت سربايا *** حجارات سجيل ياأقصى جيناك

يا مسرا طه ومهد الأنبياء*** يا أرض المعراج شهداء موتاك

ويشبه الشاعر لحظة الهجوم على تل أبيب من عل بمعجزة طير الأبابيل التي أرسلها الله لحماية الكعبة الشريفة، وإهلاك أبرهة الحبشي، وكان قاب قوسين أو أدنى من مراده، وقد خلد النص القرآني الواقعة وأفرد لها سورة كاملة هي سورة لفيل، يقول الله تعالى: ﴿ وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ﴾[1]

إن رحلة المعنى المقاوم في هذه الصورة الفنية تتجلى في الربط بين صورتين حسيتين، الأولى وهي واقعة القبلة الأولى، والثانية هي المرجع التراثي الذي جرت وقائعه في القبلة الثانية، ولابد من ربط السابق باللّا حق ليكتمل المعنى لفكرة المقاومة التي لا تنتهي حتى يتحقق النصر "ومن هنا فإن الشكل الثقافي في المقاومة يطرح أهمية قصوى ليست أبدا أقل قيمة من المقاومة المسلحة ذاتها"[2]

---

[1] سورة الفيل 3

[2] غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، دار التقوى، ط1، 2017، ص9

ويقدم الشاعر رشيد بومعزة [1]صورة نافذة تختزل ما يجري من إبادة جماعية يقول:

وشمس الشهداء كي تطلع ما تغيب
من تحت الركام بالمسك فاحو
يوم الهول صفوف جندي معاه طبيب
وشيوخ وشبان في الميمر طاحو
ها غزة أكيد فجرك بلا ريب
بالنصر المبين يرجع مفتاحو

هي صورة مؤلمة نقلها الشاعر بقلب جريح تعكس حجم المأساة التي ألّمت بالفلسطينيين، فشبه الموت والشهادة بالشمس التي لا تغيب، ولا فرق عندها بين جندي ومدني، ولا بين امرأة ورجل، ولا بين طفل وشيخ، لا بين طبيب وجريح، بل إن الموت يتلقفهم دفعة واحدة، وقد استخدم لفظة **"الميمر"** للدلالة على هول المشهد وصدمة المنظر، لكن رغم كل ذلك يساور الشاعر الأمل في نصر قريب، والنصر لن يتحقق ما لم تستمر المقاومة بكل أشكالها.

ويحاول الشاعر عبد القادر سعدون [2]مواساة الفلسطينين المقاومين وبث الحياة في نفوسهم حتى آخر رمق من حياتهم، كما يشير إلى خيانة الأعراب وينعتهم بأسوأ النعوت:

يا غزة نزفي الدم على العربان
وأنت هي تبرعي ليهم بالدم
يا حصراه على لعرب وعلى لخوان
كي خلاوا خاوتهم في الهم
ما هدروا ما تحركوا لا منهم عان
لا من قال أنا اليوم نتكلم
خدمة شينة تقول خادمها شيطان
وعاد العربي كي الحية عامر سم
خلاوك بين الكلاب الي خيان
تاكل في الجيفة لحمها متغمغم

---

[1] رشيد بومعزة شاعر من ولاية ميلة

2 عبد القادر سعدون شاعر من ولاية البيض

وضبوعة مترافسين ليها نيبان

ونسورا ما بقالها عرش ولا حكم

هي صورة سيئة رسمتها المخيلة الشعبية لواقع العرب المخزي، وهي صورة سوداء لن يواري سوأتها الزمن، وقد شبه الشاعر نفاقهم وخيانتهم بأعمال الشيطان تارة، ويشبههم بالأفاعي تارة أخرى، لما أظهروه من مناصرة العدو وتطبيعهم معه وعدائهم لإخوانهم الذي يتفاخرون به، وإن كانوا ا قبلا يتاجرون بالقضية الفلسطينية سرا، هم اليوم يجاهرون بولائهم للصهاينة وعداء إخوانهم، وقد شبه الشاعر ذلك التّكالب العربي بالكلاب والضباع حول الجيف حينا، والنسور حينا آخر.

هي صور مؤلمة ولا شك، سيحفظها الشعر ويخّلدها الزمن، ويعزف سمفونية لحن المقاومة فيها شعرا وواقعا.

ويواصل رحلة العبور نحو الخلاص رغم ألف محنة وابتلاء، وهذا الشاعر الطيب حكيمي يرثي حال الأمة ويرصد لوحات دم قانية لا تفسير لها في قاموس البشرية، يقول:

واش نقول واش نهدر ونصرح

ونعبرو نصيب لكلامي تحليل

تقطع قلبي من المسا حتان صبح

من غزة مانمت مايحلالي ليل

بت حزين الحال ما هوش يفرح

وين صبحنا يالخو وطفح ذالكيل

شعب تشرد مالقى باه يكافح

مهموم ومحقور لا حيلة لا حيل

ونساوين مقطعة قير تويدح

تبكي وتبكي القلب يعود عليل

طفل سقير يتيم يبكي وينوح

فاقد لم بلا دوا وحليب قليل [1]

يجسد الشاعر في هذه الصورة ألم اليتم والفقد، فيقدم لوحة فسيفسائية واقعية بشعة، قوامها أشلاء نساء وأطفال وشيوخ، وألوانها دماء بشرية ورماد جثث وبقايا خيم، وفي وسط كل هذا وذاك، قدم صورة طفل يكابد يتما وجوعا وألما، لكنه عازم على مواصلة رحلة الألم تلك، وهي طريق الحرية لا محالة.

الخاتمة:

بعد قراءتنا لمشهد الشعر الشعبي الجزائري المقاوم وآليات التعبير عن طوفان الأقصى يمكننا القول بأن هذا النوع من الشعر له دور ريادي في الحفاظ على الهوية ودعم المقاومة السياسية، وتحريك الهمم والعزائم للمقاومة بكل أشكالها، وباعتباره شعر الطبقات الشعبية البسيطة، فقد استطاع التعبير بلغته الدارجة عن مواضيع يعجز الشعر الفصيح عن الخوض فيها أحيانا.

وقد استثمر الشعراء واقع طوفان الأقصى وأخذوا عناوين قصائدهم منه، فلم تخرج عن هذه الفكرة من قبيل؛ طوفان الاقصى، جراح غزة، نزفي يا غزة ... وكلها عناوين بسيطة تحاكي فكرة الخيانة العربية وجرائم الإبادة الممنهجة.

أما الصور الفنية وطريقتها في تقديم المعنى، فقد عبرت بلغة الدم والقهر والعذاب عن شعب مقاوم يعشق الفناء ويعانق الشهادة أملا في تحرير مسرى نبينا الكريم، وكلها صور رسمت بلغة شفافة نافذة تفتقد في بعض الأحيان إلى الضبط النحوي والصرفي.

[1] الشاعر الطيب حاكمي: قصيدة جراح غزة، ولاية البيض

قائمة المصادر والمراجع:

–فرغلي هارون: لعبة خلط الأوراق، مقاومة الإرهاب أم إرهاب المقاومة؟ دار الوافي، 2008.

– محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1987.

– غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، دار التقوى، ط1، 2017.

– عبد الصبور مرزوق، أدب الثورة 1919، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة ،1970.

–إحسان عباس: تاريخ النقد الادبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان ط3، 1983.

– مصعب حمود: سأحمل روحي على راحتي (قراءة فنية في اللحن الفلسطيني الخالد) سلسلة إصدارات أدب العودة، ط1، ،2018.

– عبد الحق بلعابد: فتوحات روائية (قراءة جديدة لمنجز روائي عربي متجدد)، دار الروافد الثقافية، ط1 ،2015.

–فتيحة غزالي ودليلة مكسح: الذاكرة بين إيقاع الثورة وصوت الشعر الشعبي في منطقة جمورة، ملتقى القصيدة والمقاومة الشعبية، متحف المجاهد بسكرة، 2013.